الفصل التاسع

الغيرة

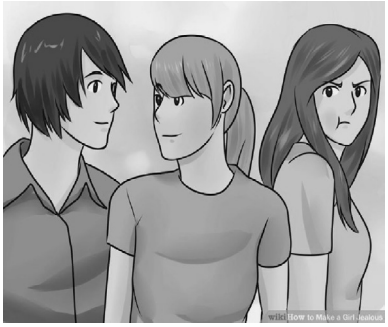

الغيـرة أحـد المشـاعر الطبيعيَّـة الموجـودة عنـد الإنسـان ،ويجـب أن تقبلهـا الأسـرة كحقيقـةٍ واقعـةٍ،ولا تسـمح في نفس الوقـت بنموّهـا، فالقليـل مـن الغيـرة يفيـد الطفل،فهـي حافـز يحثـه علـي التفـوق، ولكـن الكثيـر منهـا يفسـد الحيـاة، ويصيـب الشـخصيَّة بضـرر بالـغ،ومـا السـلوك العدوانـي والأنانيـة والارتبـاك والانـزواء إلاَّ آثـار الغيـرة علـي سـلوك بعـض الأطفـال.

ولا يخلـو طفـل مـن إظهـار الغيـرة بـين الحـين والآخر،وهـذا لا يُسـبِّب مشـكلة علـي الإطـلاق إذا فهمنـا الموقـف وقمنـا بعلاجـه علاجـاً سـليماً .غير أن الغيـرة قـد تصبـح عـادة مـن عـادات السـلوك،وتظهر بصـورةٍ مسـتمرة،وهنا تصبـح مشـكلة،لا سـيما حـين يكـون التعبيـر عنهـا بطـرق مُتعـدِّدةٍ مـن السـلوك غيـر السَّـوي أو الطبيعـي.

والغيـرة Jealous انفعـالٌ مُركَّـبٌ مـن تفاعُـل الإحبـاط Frustration، والقلق Anxiety. والإحباط:هـو إعاقـة المـرء عـن بلـوغ هـدف ما،وسـدّ الطريـق التـي يسـلكها نحـو الوصـول إلـي هدفـه سـواء أكان السـعي نحـو الهـدف سـعياً واعيـاً أم غيـر واعٍ، وهـو يعنـي أيضـاً الفشـل في تحقيـق الرَّغبـة.

كمـا أنَّ الغيـرة عنـد الأطفـال تمتـزج بالقلـق والخـوف مـن فقـدان حُـبّ الوالديـن وعطفهم،وتتولَّـد الغيـرة عنـد الطفـل الـذي ولـد لـه أخ جديد،حيـث يتحـوَّل جـزء كبيـر مـن اهتمـام الوالديـن إلـي الطفـل القـادم الجديـد، فيجـد نفسـه مهمـلاً بـدون ذنـب أو جريـرة، لذلـك فالغيـرة تحمـل عناصـر الكراهيـة والعـداء نحـو المولـود الجديد،فينسـب إليـه أي تلـف أو خسـارة تحـدث في البيـت، وقـد ينعتـه أو يوصفـه بالأوصـاف السـيِّئة المشـينة.

هذا .وقـد وجـد الباحثـون أنَّ شـعور الغيـرة مرتبـط بالـروح الاتكاليـة عنـد الطفـل لأنَّـه في حاجـةٍ إلـي عطـف الوالديـن وحنوهـم أكثـر مـن الطفـل غيـر الاتكالـي.

مظاهر الغيرة:

تتنـوَّع مظاهـر الغيـرة وتتعـدَّد خـلال مراحـل العُمُـر،حيـث تبـدو لـدي الأطفـال فيمـا يصـدر عنهـم مـن مظاهـر سـلوكية كإحـداث الضوضـاء والاعتـداء علـي الغير،وقـد تبـدو

في تظاهر بالمرض،أو فيما يصدر عنه من ممارسة سلوك كان يمارسه في مراحل نموه السابقة كالتبوُّل أو العودة إلي نطق الكلمات والحروف بشكلٍ لا يتناسب والمرحلة العُمْرية التي يعيشها وهي الظاهرة التي تسمي في علم النفس بـ « النكوص»،أو الحساسية الشديدة،والشعور بالخجل.

والطفل لا يستطيع حتى نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة (من ٩ إلي ١١عاماً) أن يضبط انفعالاته الجسميَّة عند شعوره بالغيرة فيعمد إلي الرفس بقدميه،وإلي تخريب ممتلكاته أو ممتلكات الآخرين،وقد ينخرط في بكاءٍ طويل،أو يعمد إلي الإضرار بنفسه كأن يمتنع عن تناول الطعام.

أمَّا بالنسبة إلي المظاهر النفسيَّة،فقد ينخرط الطفل في أحلام مخيفة،أو في أحلام يقظة تنتشله من الشعور بالإحباط والقلق،أو قد ينطوي منسحباً فيمتنع عن الاختلاط بالآخرين، فينعزل بالتالي عن حياة الجماعة، وقد يُصاب باضطرابات في الكلام كاللجلجة،أو حدوث اضطرابات في التفكير،وكذلك الجنوح إلي الخيال للهروب من الواقع،أو قد ينبسط بشدةٍ وبشكل مبالغ فيه.

أمَّا المظاهر الاجتماعيَّة للغيرة،فهي تبدو في العداء والعدوانيَّة أو العمد إلي إتلاف الأشياء والممتلكات.

عموماً.. فإنَّ ما يظهر من سلوك الغيرة ليس إلاَّ محاولة دائمة ومستمرة من الطفل لإثبات ذاته،وإجبار غيره علي إحساسهم بوجوده والاعتراف به،وأنَّ له ذات يجب ألاَّ تهمل،وأن يعمل لها ألف حساب.

تطوُّر الغيرة عند الأطفال:

تبدو مظاهر الغيرة واضحة علي الرضيع إذا شاركه أحد في محبة والديه،وتأخذ الغيرة شكل عدوان كالضَّرب أو الصياح أو إحداث الضوضاء.أمَّا في مرحلة الطفولة المبكرة (من٣ إلي ٥ سنوات) فإذا أخطأ الوالدان في التمادي في توجيه كُلّ اهتمامهما للمولود الجديد سلك الطفل سلوكاً يتصف بـ «النكوص» Regression،أو«الانحسار» أو«التراجع» أي ارتداده

صوب مرحلة مبكرة وأكثر بدائية كسلوكٍ طفلي فيعمد مثلاً إلي مصِّ الإبهام، أو العودة إلي الكلام الطفلي،أو التبوُّل،أو التبرُّز حيث يري أن هذه الأفعال هي الأنماط السلوكيَّة التي يقاوم بها أخوه الوليد وتلقي الاهتمام من والديه فإذا ما قام بمثلها لعله بذلك يسترعي انتباه مَنْ حوله وبالأخصِّ الوالدين،أو لعله يجد فيها انتقاماً وتشفياً من والديه.

ويُعبِّر الطفل عن غيرته في مرحلة الطفولة المتأخرة بمظاهر سلوكية منها الضيق والتبرُّم ممَّن يُسبِّب له هذا الشعور،كما يُعبِّر عن الغيرة بالوشاية والإيقاع بالشخص الذي يغار منه،أو بالعدوان المباشر لإيقاع الأذى عليه.

أسباب الغيرة:

أوَّلاً: ميلاد طفل جديد:

كان في الماضي يعتبر شعور الطفل بالغيرة من المولود الجديد خطأً فادحاً لا يمكن أن يغتفر،والآن ينبغي أن ندرك أن هذه الغيرة هي شعور طبيعي شائع حتى يتسنى لنا مساعدة هؤلاء الأطفال في التغلُّب علي إحساسهم بالغيرة.

والحقيقة أنَّ معظم الأطفال يظهرون مزيجاً من مشاعر الحُبِّ والحنق أو الكُره معاً نحو المولود الجديد،حتى إذا لم يبد عليهم هذا الحنق أو الغيظ في الظاهر،ولكنهم يحسون به في أعماقهم، علي أنَّ نسبة السرور أو النفور تتفاوت من طفلٍ لآخر،والطفل الذي تظهر عليه أشدّ حالات التوتُّر هو الطفل الذي ظلّ طوال حياته يفترض أن والديه ملك له وحده،علي حين أن الطفل الذي يتمتع باستقلال نسبي عن والديه يكون أقلّ حنقاً إزاء المولود الجديد.

ويتحتم علي الآباء والأُمَّهات مواجهة شعور الغيرة من المولود الجديد بحسمٍ حينما يعمد الطفل إلي الهجوم المباشر علي المولود الجديد بجسمٍ ثقيل،أو بدفعه عن عمدٍ بغرض الإيذاء وإيقاع الضَّرر به،علي أنَّه من الممكن أن يتقبلوا بتسامحٍ وعفو، الغيرة التي يُعبِّر عنها الطفل في شكل كلام مهذب،أو شكاية تنم عن آلام حقيقية تعتمل في أعماقه.

وفي بعض الحالات نجد أنَّ رد فعل الأطفال نتيجة شعورهم بأنَّهم عُزُلوا من مركزهم في الأسرة قد لا يتخذ مظهر العداء إلي المولود الجديد بقدر ما يتخذ المظهر الذي يسميه علماء النفس بالنكوص ـ كما أوضحنا من قبل ـ وهو ردٌّ فعل ضَّار بالطفل أكثر ممَّا لو انتابه الشعور بالغضب.

والواقع أن الأعراض العادية للنكوص شائعة بين الأطفال،وتكون عادة أعراضاً مؤقَّتة بحيث تجعلنا ندرك أنَّها لا تدل علي حالةٍ خطيرة،ولكن حينما يتصرَّف الطفل كما لو كان رضيعاً وبدت عليه أعراض الكآبة لفتراتٍ طويلةٍ فهذا هو الوقت الملائم لأن نُسارع إلي مساعدته بعرضه علي طبيب نفسي متخصِّص.

وهناك فئة قليلة من الآباء والأُمَّهات يورِّطون أنفسهم في متاعب لا داعي لها،ذلك بأن يربوا بأنفسهم شعوراً متطرفاً بالخوف من الغيرة،وقد يحمل هذا الخوف المغالاة في الاهتمام بالطفل الذي يشعر بالغيرة، والسماح له بامتيازات مبالغ فيها، فإذا ضبط هذا الطفل أبويه وهما يستمتعا بصحبة المولود الجديد فإنَّهما في هذه الحالة قد يرتجفان مذعورين وكأنَّهما اقترفا جرماً خطيراً، وهو أسلوب لا تربوي، وغير عاقل،لأنَّ الطفل لا يمكن أن يظلّ متمتعاً بالسَّعادة أو الشعور بالأمن إذا لمس الخضوع والاستسلام من أبويه.

ثانيا: الإحساس بالنقص والدونية:

الإحساس بالدونيَّة أو الشعور بالنقص Feelings of inferiority هو شعور سوي عادي بالضعف والعجز النسبي،أو انعدام الفعاليَّة والكفاءة يخبره جميع الأطفال،ويتعزَّز ـ أحياناً ـ بنقائص خاصَّة مثل الصحَّة الجسديَّة،أو التشوُّه أو العيب.

ويؤكِّد « ألفريد آدلر» أنَّ الطفل الصَّغير به مشاعر نقص،فإذا ما كبر فإن مشاعر النقص تتغاير وتدفعه ليتقدَّم أو يعلو،ومشاعر النقص لا تعني شذوذاً في السلوك،فهي لا تكون كذلك إلاَّ في حالاتٍ خاصَّة، عندما يعتريها نوع من المبالغة كالتدليل الزائد للأطفال مثلاً،أو نتيجة نبذهم وحرمانهم من الحُبِّ والحنان والرعاية،في هذه الأحوال قد تسيطر علي الطفل عقدة النقص.

كما يُقرِّر«آدلر» أن مشاعر النقص التي يمرّ بها الإنسان في الظروف العادية،تكون دافعاً للكمال أو الاكتمال،فشعور الإنسان بأنَّه دون غيره من الناس يشكل لديه دافعاً من أعظم الدوافع علي العمل وبذل الجهد،بحيث يؤدي به عجزه إلي إثبات ذاته،وتحقيق ما يصبو إليه ـ نظراً لما يعتريه من عيوب ونقائص بدنية، مثلاً ـ إلي اللجوء صوب سُبُل مختلفة من التعويض،كالتفوق علي الغير، والإتيان بأعمالٍ جليلةٍ،أو أن يتحكَّم في الآخرين كأن يعاملهم بقسوةٍ.

والطفل الذي يغار من إخوته أو أخواته أو أقرانه الذين يتفوقون عليه في ناحيةٍ ما كالذكاء مثلاً،أو القوَّة البدنيَّة،تستطيع التربية أن تبدأ معه فتسلحه بطبيعة جديدة لا تقلّ خطورة وفاعلية عن طبيعته الفطرية،فالتربية تستطيع أن تعطي الفرد بصفةٍ عامَّةٍ،والطفل بصفةٍ خاصَّةٍ،وسائل تعبير مقبولة اجتماعياً لكي يُعبِّر عمَّا يجيش بصدره من شعور بالغيرة.

من أهم هذه الوسائل الإيجابيَّة:بذل الجهد لتحقيق أهداف جديدة،فإذا ما فات الطفل التفوُّق والنبوغ في مجالٍ أو جانبٍ مُعيَّن فإنَّه يستطيع ـ بلا شك ـ التفوُّق والتفرُّد في مجالٍ آخر.

ولذلك يتحتَّم علي الآباء والمُرّبين أن يدركوا أنَّ الطفل المتفوق مثلاً في مادةٍ دراسيَّةٍ مُعيَّنةٍ كالرياضيات قد لا يتفوق بنفس المقدار في مادةٍ أخري كالجغرافيا أو التاريخ،وبالتالي فمَنْ يتميَّز في العزف علي آلةٍ موسيقيةٍ مُعيَّنة قد لا يتميز بنفس الدرجة عند ممارسته للُّعبةٍ رياضيةٍ بعينها..

ومن هذا المنطلق يتحتَّم علي المُعلِّم الواعي أن ينقل لتلاميذه الصِّغار أنَّهم متفاوتون فيما لديهم من قدرات وإمكانات، وأن كلاً منهم يستطيع أن يحقق وينجز في مجال تفوقه.

وعليه أيضاً أن يشجع الأطفال علي بذل كُلّ جهد ممكن عند ممارستهم لأنشطتهم المختلفة،لكي يتمكَّن بعد ذلك من تحليل النتائج للتعرُّف علي نواحي القوَّة

والضعف،فيعمل ما أمكنه علي تقوية نقاط الضعف بتقويمها وإصلاحها، والتأكيد علي نواحي القوَّة ليكون الجهد المبذول جهداً واعياً مستنيراً، ويؤدي في نهاية الأمر إلي التقدُّم.

فلنعمل ـ إذاً ـ بدأبٍ متواصل علي بذل الجهود الممكنة لتفتيق المواهب لدي الصِّغار ومداومة البحث عن وسائل تربوية جديدة لتظهر من خلالها بوادر التفوق والنبوغ،حتى يتسنى لأطفالنا أن يعيشوا حياة سَّويَّة،وذلك بالقضاء علي ظاهرة الغيرة بالطرق الإيجابيَّة الصحيحة.

ثالثا: فقدان المكانة الاجتماعيَّة:

من العوامل المهمة التي تتسبَّب في تأجُّج نار الغيرة في قلوب الأفراد كبيرهم وصغيرهم علي حدٍّ سواء هو الخوف من فقدان المكانة الاجتماعيَّة،فالطفل الأكبر يشعر بالغيرة لأنَّه يكون عليه أن يترك فراشه وينام في فراشٍ آخر ليحلّ أخوه الصغير بدلاً منه،وهو يحس أيضاً بأنَّه في حاجة إلي أن يتمتَّع بالحُبِّ والحنان،لكن الوليد الصغير قد جاء فحرمه من هذه الحاجة المُلِحَّة، لأنَّه دائماً بين ذراعي أُمَّه مستأثراً بكُلِّ حُبِّها وحنانها.

وتزداد الغيرة إذا عقدت الأسرة مقارنة بين الأخوة بحيث لا تكون في صالح الطفل الأكبر،فعندما يُسيء التصرُّف أو يخفق في عمل شئ مُعيَّن يسارعون بمقارنته بأخيه الأصغر مُعدِّدين محاسنه ومميزاته،لذلك يشعر الطفل الأكبر بنار الغيرة تحرق قلبه الصغير نتيجة إحساسه بفقد مكانته الاجتماعيَّة التي كان يحظي بها في السَّابق.

وعلي هذا..فمن الطبيعي أن يجد الطفل نفسه بين إخوة آخرين،ثُمَّ بين أطفال من نفس عُمْرهُ يستطيع أن يناضل لكي يحتل مكانة مرموقة بينهم سواء في اللَّعب أو في الدراسة،وفي كُلّ يوم، وفي كُلّ موقف اجتماعي يجد الطفل نفسه مُهدَّداً بفقدان مكانته الاجتماعيَّة بين أقرانه فتدب الغيرة في نفسه من المنافسين له،فإمَّا أن يعمد الطفل إلي الاجتهاد للحفاظ علي مكانته الاجتماعيَّة ببذل الجهد المطلوب والمثابرة،وأن ينال

من الأبوين والمُعلِّمين التشجيع والعون والتوجيه وهو ما نطالب به دوماً ونؤكِّد عليه في كُلِّ كتبنا ومؤلفاتنا السَّابقة والحالية.

وإمَّا أن يلجأ إلي الأساليب السَّلبيَّة،غير السَّوية فيخرج الطفل من نطاق الغيرة إلي نطاق آخر يتمثل في الحسد والحقد والضغينة ذلك إذا لم يوجه التوجيه التربوي السليم،أو إن لم يلق التشجيع والتحفيز من الأبوين والمُعلِّمين وهذا ما نحذر منه وننهي عنه.

● **بعض الآثار البناءة التي يمكن استثمارها من ميلاد الطفل الجديد :**

هناك بعض الآثار البنَّاءة التي يمكن أن يحدثها مولد الطفل الجديد في الطفل الأكبر،ذلك أن مقدم المولود الجديد يمكن أن يدفع عملية النموّ ويُسرع بها ويدعمها،قد يقبل الطفل الذي ناهز الثانية من عُمْره عند مقدم هذا المولود الجديد بأن يتقبَّل التدريب علي استخدام "المرحاض"،ولأنَّه يدرك ما أحرزه من نموّ فإنَّ ذلك يحفزه إلي مزيد من التقدُّم في هذا السبيل.

ويمكن للأُمِّ بوجهٍ خاص أن تتحين الفرص المناسبة كي تمدح مهارة الطفل الجديدة التي اكتسبها، وتطلب منه أن يساعدها في بعض الأعمال المنزلية ثُمَّ تبدي تقديرها لهذه المساعدة.

ونؤكِّد أنَّ هذه البرامج ملائمة تماماً للطفل إذا نفذها الوالدان بصدقٍ ولباقةٍ، فالهدف منها هو مساعدة الطفل علي الاحتفاظ بتوازنه وتذوقه متعة الشعور بالنضج.

وهناك ناحية أخري تُساعد الطفل علي التقدُّم في عملية النضج بعد مقدم المولود الجديد،وهي أن تشجعه علي أن يتقمَّص - في حدود مُعيَّنة - أدوار الوالدين،لأنَّها تعني قفزة واسعة إلي الأمام، فالأولاد والبنات بين سن الثالثة والسَّادسة من عُمْرهم يستهويهم عادة أن يمثلوا دور الآباء والأُمَّهات.

والطفل يميل بفطرته إلي الهروب من الموقف الأليم الذي يخلقه شعوره بالمنافسة مع المولود الجديد وذلك عن طريق التظاهر بأنَّه فقد تجاوز مرحلة الطفولة تماماً،مع

إقناع نفسه بأنَّه لا ينتمي إلي هذه الفئة العُمْرية التي ينتمي إليها هذا المولود الجديد، لذلك فإنَّه يتعامل معه كما لو كان أباً له، وعلي هذا تتحوَّل مشاعر الغيرة التي تعتمل في نفسه إلي مشاعر ناضجة تتسم بحُبٍّ الغير والتفاني من أجلهم.

والكثير من الأُمَّهات يعرفن مختلف الأساليب التي يمكن أن تنتهجها في هذا المجال:كأن تُسمي المولود الجديد «طفلنا»،وأن تشجع الطفل الأكبر علي أن يؤدي دور المسؤول عن إحضار أدواته وحاجياته،وأن يساعدها كذلك في تجفيفه بعد الاستحمام،وأن تطلب منه ملاحظته عندما تكون منهمكة أو مستغرقة في العمل.

علي أنَّه ينبغي أن نعلم أن هذا الأسلوب له حدود وقواعد وأصول، فلا ينبغي أن تطلب الأم مثلاً من طفلها الأكبر أن يحمل المولود الصَّغير وينقله من مكانٍ إلي آخر،وإن كان هناك لهفة شديدة من جانب الأطفال إلي حمل المولود الجديد،لذلك عليها أن ترتب للطفل الأكبر والمولود الصغير مكاناً آمناً يجلسان فيه.

كما أنَّه ليس هناك ما يدعو لأن تفرض الأم هذا الدور علي طفلٍ ينفر من تقمُّص هذا الدور،وإلاَّ فإن المهام التي قد تلقي علي عاتقه تؤدي إلي زيادة نفوره من المولود الجديد.

كما يمكن أن تكون الغيرة تجربة ناجحة وبناءَّة في تربية الطفل الأكبر، فالطفل الذي لم ينحرف سلوكه إلي مرحلةٍ حرجةٍ أو خطرةٍ من جرَّاء الغيرة، وساعده والدان مُحبَّان يتَّسمان بالباقة والكياسة علي تجاوز هذه المرحلة تدريجياً،فإنَّه من الممكن أن تنتهي به هذه التجربة إلي تكوين شخصيته علي نحو أقوي من تلك الشخصيَّة التي كانت له في الماضي،حيث يتوهَّم أن المولود الجديد سيكون حائلاً بينه وبين والديه،ويخشي ألاَّ يمنحه والداه من حبهما ما كانا يمنحانه له من قبل..

لذا يحقد علي المولود الجديد، ولكن بمرور الأيام يقتنع بأن أبواه يتفانيان في حُبّه كعهدهما دائماً،فيطمئن قلبه وينموّ في وجدانه ولع بالمولود الجديد، وهذه التجربة تنتهي بالطفل إلي أن يكون أكثر تسامحاً مع الأطفال الآخرين، وأكثر اطمئناناً إلي الحياة.

حتي نُجنب أطفالنا شعور الغيرة المؤلم:

- لابدّ أن ندرك أنَّ الغيرة أمر طبيعي، وأنَّ الطفل الذي يغار ليس بطفلٍ شاذ بحالٍ من الأحوال،ولكن مع هذا لابدّ من بذل كُلّ جهد ممكن لإبقاء الغيرة عند حدها الأدنى،لأنَّ الطفل شديد الغيرة لا يكون طفلاً سعيداً،لذلك لابدّ من التعجيل لعلاجه إذا ظهرت عليه أعراض الإحساس العام بانعدام الأمن وفقدان المكانة الاجتماعيَّة كالتبوُّل اللاإرادي أو اللجلجة أو الجنوح.

- لابدّ أن يبذل الأبوان جهدهما لتجنيب الطفل شعور الغيرة المفرطة،والسبيل إلي ذلك هو فهم أسبابها ودوافعها وتجنُّب إدخال تغيير أو تعديل علي حياة الطفل الأكبر ونظامه المعتاد فور مجئ الطفل الجديد،فإذا كان ينام في فرش خاص به فلينام عليه دون منحه للمولود الجديد ..وهكذا.

- للمعاملة الأُسرية دور مهم في منع شعور الغيرة،فالنظام المنزلي الصارم، وضيق الصدر والتبرُّم والتوتُّر من جانب الوالدين،وعدم السماح للطفل بأن يستكمل شخصيته ويكتسب ثقته بنفسه، كُلَّها تؤدي للشعور بفقدان الأمن، وتكون مقدمة متوقعة لظهور الغيرة.

كذلك فإنَّ كُلّ ما يُقلِّل من سَّعادة الطفل ـ كالملل والضيق ـ تودي أيضاً إلي زيادة احتمال شعور الطفل بالغيرة، وتقلّ بالطبع هذه الاحتمالات إلي الحد الأدنى إذا عُومل الطفل بحكمةٍ وسعة صدر،وإذا شعر بأنَّه موضع الحُبّ والإيثار من جانب والديه.

- في حالة ولادة طفل جديد لا يجوز إهمال الطفل الأكبر وإعطاء الطفل الأصغر عناية أكثر ممَّا يلزمه،كما يتحتَّم علي الآباء والأُمَّهات تهيئة الطفل الأكبر إلي حالة ولادة طفل جديد،كذلك يلزم فطامه نفسيّاً ووجدانيّاً ولكن بالتدريج وبقدر الإمكان فلا ينبغي أن يحرم حرماناً مفاجئاً من الامتيازات التي كان يتمتَّع بها قبل مجئ الطفل الجديد.

- لابدّ أن يراعي الآباء والأُمَّهات استمرار حاجة الطفل للحُبِّ،حتى لا يشعر أنَّه قد أصبح عديم القيمة أو الفائدة،كذلك لابدّ من تجنب امتداح الطفل الأصغر في حضرة الطفل الأكبر.

ونؤكِّد أن سلوك الطفل خارج نطاق الأسرة يعكس إحساسه داخلها،فإذا نال الطفل الحُبّ والحنان والفهم والتقبُّل أمكنه أن ينقل هذه الأحاسيس إلي الآخرين فيشعر بالسَّعادة في العطاء والتضحية وإنكار الذات،أمَّا الطفل الذي يلاقي الكراهية والنبذ والعنف والعقاب المؤلم فهو طفل يشعر بالغيرة ممَّن حوله،لاسيما إذا كانوا ينعمون بالسَّعادة والأمان والاحتضان من جانب آبائهم وأمهاتهم،وهذا بالتالي ينعكس في كراهية الآخرين وحقده وحسده ممَّن يحيطون به ممَّا يؤدي إلي الإحساس باللَّذة في التنكيل بهم وإيذائهم وتعذيبهم ومشاكستهم لينتقم لنفسه ممَّا يلاقيه من أسرته من سوء معاملة.

- يجب علي الوالدين أن يقلعوا تماماً عن عقد المقارنات أو الموازنات بين الأطفال علي اعتبار أنَّ لكُلِّ طفل شخصيته المستقلة من حيث قدراتها وإمكاناتها واستعداداتها ومزاياها الخاصَّة.

ويكفي إذا نجح الطفل في عملٍ ما أن يُشجع ويُحاط بالتقدير والثناء،وإذا اخفق يُحاط أيضاً بالرعاية والتشجيع والمساندة والدعم وتحفيزه علي إعادة المحاولة من جديد لغرس الثقة في نفسه بدلاً من محاولة نزعها،وعموماً..فكُلِّ طفل مهما فشل أو أخفق في جانبٍ ما،فله بالطبع جانب آخر طيب يمكن كشفه وإبرازه والاعتزاز به.

- لابدّ أن يراعي كُلّ من الأب والأم في البيت،والمُعلِّمين والمُعلِّمات في المدرسة عملية توزيع الاهتمام علي الأطفال جميعاً بقدرٍ متساوٍ دون مغالاة في الاهتمام بطفلٍ علي حساب آخر.

ولابدّ أيضاً أن تتضمَّن التربية قدراً كبيراً من المساواة في المعاملة بين الذكور والإناث،لأنَّ التفرقة في المُعاملة تؤدي إلي شعور الذكور بالغرور والتعالي أي تضخم ذواتهم، ويثير في الإناث حفيظتهن فتنمو عندهن غيرة تُكبت وتظهر أعراضها في صور أخري في مستقبل حياتهن ككراهية الرِّجال وعدم الثقة بهم.

- عدم إغداق امتيازات كبيرة علي الطفل العليل أو المريض بحجة مرضه، فإنَّ ذلك يُثير غيرة إخوته الأصحَّاء وبالأخص الصِّغار منهم،وتبدو مظاهر هذه الغيرة في تمني باقي الأطفال للمرض حتى يحظوا بمثل هذه الامتيازات، وهذا ما يُفسِّر أحياناً السرّ الكامن وراء ظاهرة تمارض الأطفال، كذلك كراهية الأطفال الأصحَّاء لأخيهم المريض،أو غير ذلك من مظاهر الغيرة الظاهرة أو المستترة.

- وعلي ذلك فمن غير المستحب أن نهمل الطفل بحجة مراعاة مشاعر إخوته أو أخواته الأصحَّاء،إنَّه في النهاية قدر متوازن من الرعاية.

- يمكننا من خلال التنشئة الاجتماعيَّة أن نقتنع ـ عن رضاء تام ـ بأنَّ الإنسان ـ وخاصَّة في مرحلة الطفولة ـ ذو طبيعة نقية وخيرة، وليست طبيعة شريرة أو عدوانيَّة،وعلي هذا الأساس يمكننا التعامُّل مع الطفل.

كما لابدّ أن نشعر الطفل بذاتيته، وكينونته، وأن له وجوداً غالياً ومهماً .كما ينبغي أن نهتم بالطفل بشكلٍ معتدل دون تفريط أو إفراط بما يساعده علي التعوُّد علي أن مثل هذا القدر من الاهتمام أو الرعاية إنما هو حقه الذي لا ينبغي أن يطمع في أكثر منه.

وكُلنا يعلم جيداً أنَّ التدليل المبالغ فيه للأطفال يؤدي إلي ضعف الإحساس بالاعتماد علي النفس ومجابهة الحياة بكُلِّ همة وعزم ونضال، وظهورهم بصورة إتكالية، منغلقة، منطوية علي نفسها،ومنكفئة علي ذاتها، نرجسية وأنانية.

- علي الأمِّ أن تبذل جهداً خاصاً لتؤكِّد لطفلها حُبَّها وحنانها، وأن تحمله مرَّات أكثر،وتحرص علي تلبية رغباته المفضلة في نطاق المعقول من التربية المتوازنة.

وعلي الأب أن يهتم بالطفل الأكبر بشكلٍ ظاهر قبل حمل ومداعبة الطفل المولود الأصغر، والأرجح في هذه الحالة أن الطفل الأكبر سيحب المولود الجديد إذا سُمح له باللَّعب معه،مع توجيهه أقلّ ما يمكن من النصح والتوجيه.

- العمل علي إبراز النواحي الطيبة في الطفل، والكشف عن المواهب والقدرات المخبوءة مبكراً مع تنميتها ورعايتها، فتنمية الهوايات المختلفة وممارسة الألعاب العقليَّة والرياضيَّة كفيلة بأن تنتزع من قلبه فتيل الغيرة لما تصقله وتغرسه من اعتداد بالنفس والثقة بها،ذلك لأنَّ الطفل يسجد من المجالات ما يتفوق فيه وينبغ.

●●●